حفلة تعرّ دولية

احمد عمر

ليس الوقت صيفاً، ليس وقت سباحة، ليس حفلة عرض لزيّ الإمبراطور الجديد، ليس عرضاً لكمال الأجسام، ليس سعياً وراء فيتامين دال ولا فيتامين قاف، لكن أميركا وربيبتها عاريتان. سقط النصيف ولم تتق أميركا الإجماع الدولي والعالمي باليد، فهي وحدها في مواجهة العالم برهان ذلك التصويت في مجلس الأمن، عارية من غير بلاج، عارية من غير ورقة توت أو صنوبر، فالناس تجد صعوبة في تبرير التجويع والقتل، الحجّة التي تساق هي هجوم 7 أكتوبر، التي صارت خطيئة أولى، خطيئة أصلية.

يدهشك إعلام دول القانون الدولي بالأجوبة التسويغية المبرّرة للقتل، التي لا تخطر إلا على بال الشيطان، كقول الناطق باسم الاحتلال في قتل الشابّين الغزّيين، وكان أحدهما يجرُّ دراجة، بأنهم اشتهوها في حمله رشاشًا، الفرق بين الحق والباطل كالفرق بين الدرّاجة والدفع، لكنهم لم يعتذروا عن جريمة قصف الشباب الأربعة والتي روّعت الساسة، وماتوا عرايا من دون درّاجات، والوقائع الفردية تؤثر في الناس أكثر من القتل الجماعي، و«الشرّ خيرٌ إذا كان مشتركاً».

انتشرت صورة لمُنات الأطباء والممرّضين والمرضى عراة من غير دراجات.

يبدو أنهم يحبون رؤية ضحاياهم عراة، شأن كل الطغاة. انتشر بالأمس فيديو لجنود اقتحموا محلًا في الخليل، فوجدوا طفلًا يرتدي قميصًا عليه صورة بندقية، فأمروه بأن يتعرّى وقدّوه من قُبل ومن دُبر، وصفعه أحدهم، وخرجوا منتصرين، ثم عادوا وصادروا وثائق الكاميرا، فالاحتلال والطغاة يأنسون بالأثر: إذا بليتم بالمعاصي فاستتروا. ... الاستتار بالأكاذيب ومصادرة الكاميرات، ومولدات الدخان، وقتل الصحافيين، وأقربا، الصحافيين.

أغلب الظن أن غزة المصلوبة تقدّم منذ ستة أشهر آية للعالمين، لكن ثمة عار آخر، فقد اضطرت القوى العالمية، في مقدمتها أميركا ووصيفاتها إلى خلع ثيابها المزركشة ومعاطفها الكشكشة، ووقعت في حيرةٍ من أمرها، عجزًا منها عن تبرير كل هذه الجرائم، وتجاوزا للقوانين الدولية والإنسانية. ولو ذكرنا استنكارات النظمات العالمية لطال المطال وطال وطوّل. مؤسّسات دولية؛ مثل العفو الدولية، ومؤسّسات الأمم المتحدة، ومنظمة الغذاء العالمية، لبلغت دفترا، حتى أنّ الأمين العام للأمم المتحدة، غوتيريس، ظهر مسكيناً ويتيماً وأسيراً. دخل الامبراطور الحفلة عارياً مهوماً، بأنه يلبس أفضل أزياء العالم، في الحكاية الشهيرة. أما إسرائيل ومامأ أميركا فقد دخلتا الحفلة وهما ترتديان أجمل الأزياء العالمية؛ فستان التقدّم، تنوّرة الإنسانية، باروكة الديمقراطية، توشية العدالة الدولية، لكن غزّة صاحت: الملك عريان.

الحديث عن العري يستدعي الحديث عن العين، وعن الكاميرا، فقد قصفت أميركا مكتبي الجزيرة في كابول وفي بغداد. ناهز عدد الصحفيين الشهداء في غزّة 136. حارَ قابيل كيف يواري سوأة أخيه، وكان يواري سوأته هو، فرائحة الجثة ستؤذيه وتذكّره بجرمه. المجرمون (والمساكين) أتقياء يمشون بجانب الحائط ويقولون يا رب الستر، فسبحان من جمع الشتيتين!

ذُعر الجند الذين يرتدون الحلل العسكرية المدرّعة من رسمة بندقية، فنزعوا قميص الولد ومزّقوه، سيقول قائل: إنهم أفضل من جند بشّار الأسد، فقد اكتفوا بتمزيق القميص وصفعةٍ ودِيّة، وإنّ الطفل حيٌّ يرزق، وإنه كان درساً تجنّب العنف، الدولة كما تعلمون تحتكر العنف والبنادق والقمصان والدرّاجات. تسعى بعض الدول التي يرتدي حكّامها أزياء أنيقة، لكنهم عراة من تحت جلودهم إلى ستر عوراتهم بالدعوة إلى وقف إطلاق النار في شهر رمضان، أو ما بقي منه، وإدخال المساعدات في ليلة القدر لقتل الناس جياعا أو بالطعام الفاسد أو بصناديق الطعام الساقط من غير مظلات!

أما أن لعيد المساخر الدولي أن ينتهي!

أهل الفن خط دفاع وهمي

عبد الحكيم حيدر

مثلاً، ماذا لو مدّ الله في عمر الرائعة الراحلة الفنانة فاتن حمامة؟ ماذا كانت ستفعل أمام نقص قيمة الجنيه أمام الدولار كحائط سد أخير حماية لعملة بلادها، أو هل كانت ستجدي الأبتاسمتها مثلا في إرجاع أبي أحمد في إثيوبيا عن خطة الملء الخامس؟ وهل ستعيد صفاء بعد أيام القطن طويل التيلة ثانية إلى التصدير، إلى موانئ باريس ولندن في السفن، فتوفر العملة الصعبة للأسواق، أم سوف تكمل بنفسها مشروع الرؤساء الملايين فنّان قمح، فتنام وقد ارتحنا لملء الصوامع؟ أعرف أن لحن محمّد عبد الوهاب أغنية «محلاها عيشة الفلاح» كان طرباً ومهدهداً لقلق أولاد المدن ولوسائد الحكام وأبو قردان وللعساكر في كل الوحدات العسكرية وللفلاحين أيضاً، وهم يأكلون المش بدوده. وهكذا هي الحياة دائما نعيشها كنسيج مضفور بين الضحك والدموع من قديم الزمان، ولكن دائماً أتساءل: هل تجدي مشية ليلى علوي مثلا على شاطئ النيل لإنتاج «أقماع السكر» ثانية ونردم به الأسواق؟ وهل يجدي مسلسل «الاختيار 17» في ردم بحيرة البرلس وإنتاج مليون طن من الأسماك الجيدة لجنود خط النار، أو زراعة نبات عبّاد الشمس بطريقة التنقيط في رمال العوينات؟

أتساءل كمعظم الحالمين بالطبع هل تجدي مسرحيات الرياض كلها في وصل جسر من ميناء العقبة بأقرب نقطة يابسة في السعودية أو إنزال ركّاب التمور إلى أهلنا في غزّة بحيلة فنيّة متفرّدة تتعجب منها «إسرائيل»، وليكن بطائرة محمد رمضان الخاصة أو طائرة ياسمين صبري أو عمرو دياب. أتساءل في كل مرة، ولا أجد أي جواب، هل أضاف مثلا زرياب بعد وتره السادس للعود معلومات إضافية لعلم الجراحة أو الصيدلة بعدما عكف على شروحات ابن سينا أو الكندي أو الفارابي؟ هل حقق الفنان في كل مرّة يكون هكذا بهذا الشكل، لأنه لا يشبع أبداً من الثناء، حتى في جنازته، وحظ الكثير كعُسر ما من حظ الفنان بكثير، لأنه يحتاج في كل نكبةٍ إلى من يقف بجواره، كي يدفع عنه بالعطور والابتسامات نكد معيشة الناس التي هي بالملايين، وليست تلك التي في القاعة وقد جاءت مهندمة وحافظة ومؤدّبة خارجة منذ ساعتين بالأقل.

معادلة صعبة ومحيّرة، فكلام الليل لا يصمد في الظهيرة أمام لهيب الشمس، فما بالك بلهيب الأسعار؟ ... أعرف أن من أوشك على الغرق يتعلق بقشّة، فما بالك إذا كانت تلك القشّة فيها ابتسامة فاتن حمامة، حتى وإن قاربت على الثمانين وفاقتها بسنوات، أو خفّة روح صفاء أبو السعود حتى بعدما تركت الفن منذ سنوات، ولديها طائرة خاصة بعيداً عن الشعب، ولا تنتظر زجاجة الزيت أو نصف كيلو المكرونة المعبأ من أمام شوادر «أهلاً رمضان»، فهل في قدميها «شبشب» بلاستيك ومحتارة في أجرة التوك توك بعد الحصول على تلك الغنيمة، فما بالك لو كانت حمامة هي الساعية إلى زجاجة الزيت ونصف كيلو المكرونة، لأنها تمثل الجزء الثاني من «أفواه وأرانب»، وأولادها في انتظارها على العتبة جوعى.

تخيّل ذلك مثلاً، من دون أن تنزل مثلاً الراحلة فاتن حمامة، ولو حتى بخيالها من «فيلا المقلّم» إلى مدينة دار السلام، والمخرج، مخرج روائع الفقراء، في انتظارها بجوار حمام السباحة لمدة سنة بالسيناريو معطّرا، وهي مرّة توافق، ومرّة تعتذر لظروف سفرها. وفي النهاية، وافقت على مضض، بشرط أن يتم التصوير كاملا. في مدينة «كبار السلام تماما» في استديو نحاس. والغريب أن المنتج وافق على كل طلباتها، ولكنها في آخر ساعة أضافت شرطين إضافيين للعقد على أن توافق بعد الموافقة على الشرطين: أولا، أن ينقل استديو نحاس كله إلى سفح الهرم وتعويض أهالي عزبة نزلة السمان عن كل الأضرار الاقتصادية. ثانيا، أن يتم التعاقد مع الممثل كامل بيومي بطلاً أيضا بأجر محترم، فجأت الموافقة بسرعة البرق، إلا أن المنتج في النهاية هرب إلى دولة عربية صديقة، ثم اختفى من دون أن تصل السلطات هناك إلى أي أثر يدلّ عليه، وما زال المشروع مركونا منذ سنوات.

في المناصفة والمساواة و تمكين النساء

كمال عبد اللطيف

شكّل موضوع تفعيل المناصفة وتحقيق المساواة بين الجنسين، في اليوم العالمي للمرأة في المغرب يوم 8 مارس/ آذار الجاري، مناسبة لتطوير النقاش في المجتمع، بمناسبة مرور عقدين على مدونة الأسرة، وتشكيل لجنة وطنية بتكليف من الملك لرسم المعالم الكبرى للتصوّرات والمواقف، التي تخفل للمدوّنة الجديدة المرتقبة، ما يسمح بتطوير أحكامها وجعلها قادرةً على تعزيز الأمن الأسري، وذلك بمنحها المرونة المطلوبة، والمرتبطة بمختلف المتغيرات التي تلاحقت في المجتمع المغربي، منذ سنة 2004، حيث بدأ العمل بالمدوّنة الحالية التي ارتبط صدورها بمعارك سياسية كبرى بين المحافظين والحداثيين، بين الفقه التقليدي والدعوة إلى الاجتهاد من أجل فقهٍ جديد ومناسب لمتطلبات المجتمع المغربي، فقه يرفض التمييز بين النساء والرجال، ويتطلّع إلى مدوّنة تعزّز تطلعات المجتمع المغربي إلى بناء أسرة جديدة. وقد أظهرت المعركة التي ملأت فضاءات المجتمع المغربي وما ارتبط بها من مظاهراتٍ صاخبةٍ، في كل من الدار البيضاء والرباط، أهمية الحضور الذي أصبحت تمثله منظمات المجتمع المدني في المجالين، السياسي والحقوقي.

كذلك أبرزت مواقف التيارات السياسية المحافظة التي تنظر إلى التمييز القائم بين النساء والرجال باعتباره مسألة فطرية، وذلك خلافاً للمنظور الحداثي الذي يعدّه من نتائج ثقافة تاريخية مُحدّدة، والذين شاركوا أو تابعوا المعارك التي انتجت مُدوّنة 2004، انتبهوا إلى أن فصائل الإسلام السياسي استعانت في المعركة المذكورة بلغة «الداخل والخارج»، لغة «الغزو والاختراق»، محاولة محاصرة أفعال التشبيك الحاصلة في فضاء مؤسّسات المجتمع المدني النسائية، المتصلة، بصورة أو أخرى، ببرامج المنتظم الدولي، في موضوع تمكين النساء باعتباره من الأسس المساعدة، في عملية التغلّب على عوائق النهضة والتقدم في مجتمعنا.

استمعت اللجنة المكلّفة تطوير مدوّنة الأسرة وجعلها أكثر قرباً من مختلف التحوّلات الجارية في المجتمع المغربي، إلى مختلف فعاليات المجتمع السياسية والمدنية والحقوقية، وترتّبت عن ذلك عودة إلى إشكالات كنّا نعتقد أن التاريخ تجاوزها وتجاوز الصّيغ التي كانت تطرح بها، إلا أن المتابع لصور النقاش الذي فجّره من جديد إصلاح مدوّنة الأسرة وتطويرها، يشعر بكثير من الأسى، وهو يتابع مواقف التيارات المحافظة، حيث يتواصل الحديث عن بعض قضايا المرأة والمجتمع، بلغةٍ لم تستوعب روح بنود دستور 2011، التي تقضي بالمساواة والمناصفة، ولا دلالة تمكين المرأة وتعزيز مسيرة التنمية.

تعود التيارات المحافظة لتتحصّن من جديد بلغة الهوية والخصوصية، منطلقة من أهمية الشريعة الإسلامية في ترتيب مختلف الظواهر المرتبطة بموضوع الأسرة وتقنينها، مغفلة أهم التحوّلات الحاصلة في مجتمعنا، في موضوع علاقة المرأة بالرجل داخل بنية المجتمع المغربي، في تحوّله المتواصل داخل عالم متغيّر باستمرار. إضافة إلى ذلك، لا يهتم المحافظون، وهم يردّدون بعض أحكام الفقه، بالأدوار التي يمكن أن تمارسها الثورات المعرفية والاجتماعية والتقدم في مجتمعنا.

تجعلنا نتخلّص من هيمنة الفقه التقليدي، الذي أنتج أهم قواعده في ضوء العلوم التي اعتمدها الفقهاء في عصورنا الوسطى، في حين أن فتح باب الاجتهاد الفقهي اليوم في ضوء مكاسب المناهج والمعارف الجديدة، يفترض أن يساهم في بناء معالم فقه جديد، قادر على النظر من زوايا أخرى إلى نصوص الدين وتحوّلات التاريخ ومتغيرات المجتمع.

بعض تنظيمات الإسلام السياسي لا تفتأ تُعلن أنها تحوّلت إلى مؤسّسات سياسية مدنية بمرجعية لاهوتية، إلا أنها لا تنتبه إلى عدم قدرتها على التخلّص من هيمنة التقليد على طرقها في النظر إلى أسئلة السياسة والتاريخ، ولم تتخلّص، أيضاً، من الطابع الإطلاقي والقطعي في نظرتها إلى أسئلة المجتمع والتاريخ. وضمن هذا السياق، تظل مواقفها في آمسّ الحاجة إلى إصلاح ديني يُسلّم بأنّ التراث الإسلامي مثله، في ذلك، مثل مختلف منتجات البشر في التاريخ، خَمال أوجه لا حصر لها. وهو خِرَانٌ قابلٌ لأكثر من صيغة من صيغ الاستثمار الخلّاق والمبدع في الحاضر والمستقبل.

> لا تنتبه تنظيمات في الإسلام السياسي إلى عدم قدرتها على التخلّص من هيمنة التقليد على طرقها في النظر إلى أسئلة السياسة والتاريخ

يستنجد أصحاب الحجج الرافضة مبدأ تحديث القوانين وفتح باب الاجتهاد على مقوّمات مجتمع جديد في الأغلب الأعمّ، بجملة من المفاهيم والمبادئ والأحكام، دون عناية واضحة بدلالاتها التاريخية والنظرية، ومن دون التفات إلى مطلب مراعاة المستجدّات الحاصلة في المجتمع. إن مفهوم الهوية المستعمل في سجالاتهم في موضوع إقرار المساواة بين المرأة والرجل في الإرث، وفي رفض التعدّد، يشير إلى ثقافة وقيم جامدة، في الوقت الذي تتسم فيه هوية المجتمعات في التاريخ، بأشكال من التفاعل مع ثقافاتٍ أخرى، حيث تتشكّل الهويات، ويُعاد تشكلها بصورة لا تعرف التوقّف. ولا أحد من المحافظين يستطيع أن يقنعنا بأن موروثنا الثقافي في العصور الوسطى، لا يستوعب جوانب عديدة من الموروث الثقافي والديني المرتبط بثقافات وحضارات أخرى، مثلما أن فكرنا المعاصر تطوّر وتغيّر، بفضل التحولات الجارية في المجتمع، وبفضل صور المثاقفة والتفاعل التي حرصت عليها النخب في مجتمعاتنا، طوال عقود القرنين الماضيين، حيث ساهم تفاعلنا مع المتغيّرات الطارئة على مجتمعنا، وصور تفاعلنا مع الآخر والآخرين في العالم، في تطوير منظومتنا في اللغة والثقافة والإبداع... من دون أن يُفسّ بروح معتقداتنا وقيمنا.

وإذا كان بعضهم يرى أن النموذج الحداثي الغربي استنفد زمانه، حيث يعيش الغرب اليوم مأزقه الأخلاقية والمالية والبيئية والتقنية...، وحيث نقف في كثير من أنماط حضوره على جوانب من بُؤس عالمنا وإفلاس قِيَمه، إلا أننا نرى أن الفكر الذي يعلن عداءه للحداثة وانتصاراتها، لينتخضّن بالقيم التقليدية ويُركّب الأصوليات مُجدّداً، متخلياً عن كل ما راكمته البشرية في تاريخها الطويل من مآثر ومكاسب ومآزق، يتناسى أن الحداثة تملك القدرة على إبداع مساراتها المتعدّدة والمتطوّرة ومواجهة أعطابها، بل ومواجهة ذاتها. ونحن نتصوّر أن التحرير القانوني للمرأة في مجتمعنا لا يحصل إلا بمراعاة التطوّر الداخلي لمجتمعنا. وضمن هذا الأفق، دافع عبد الله العروي في سياق تشخيصه عوائق التحديث في المغرب وفي العالم العربي، عن ضرورة المساواة بين المرأة والرجل في الإرث، بحكم أن مقتضيات التحوّل في مجتمعنا تستدعي ذلك، حيث يمكن أن تقوم مؤسّسات الدولة التي تمارس التشريع بذلك من أجل مزيد من تحديث المجتمع.

(أكاديمي مغربي)

البرتغال... نهاية الاستثناء اليساري

محمد طيفوري

أنهى تعيين الرئاسة البرتغالية لويس مونتينيغرو رئيساً للوزراء، يوم الخميس الماضي (21 مارس/ آذار)، مساء سياسياً لتطوير النقاش في المجتمع، بمناسبة مرور عقدين على مدونة الأسرة، وتشكيل لجنة وطنية بتكليف من الملك لرسم المعالم الكبرى للتصوّرات والمواقف، التي تخفل للمدوّنة الجديدة المرتقبة، ما يسمح بتطوير أحكامها وجعلها قادرةً على تعزيز الأمن الأسري، وذلك بمنحها المرونة المطلوبة، والمرتبطة بمختلف المتغيرات التي تلاحقت في المجتمع المغربي، منذ سنة 2004، حيث بدأ العمل بالمدوّنة الحالية التي ارتبط صدورها بمعارك سياسية كبرى بين المحافظين والحداثيين، بين الفقه التقليدي والدعوة إلى الاجتهاد من أجل فقهٍ جديد ومناسب لمتطلبات المجتمع المغربي، فقه يرفض التمييز بين النساء والرجال، ويتطلّع إلى مدوّنة تعزّز تطلعات المجتمع المغربي إلى بناء أسرة جديدة. وقد أظهرت المعركة التي ملأت فضاءات المجتمع المغربي وما ارتبط بها من مظاهراتٍ صاخبةٍ، في كل من الدار البيضاء والرباط، أهمية الحضور الذي أصبحت تمثله منظمات المجتمع المدني في المجالين، السياسي والحقوقي.

أي تعاون مع حزب «تشيغا» العنصري المتطرّف، لضمان الأغلبية اللازمة لأجل تشكيل الحكومة، ما يعقّد أكثر حسابات المشهد السياسي في البلد.

وضع يقلل من أوراق اللعب المتاحة بين يدي رئيس الوزراء المكلف، بعد اختيار الحزب الاشتراكي؛ ثاني قوة سياسية في البلاد، الاصطفاف في المعارضة داخل البرلمان، فمونتينيغرو أمام خيارَين أحلاهما مُرّ؛ إما التوجّه نحو تشكيل حكومة أقلية، مع حزب المبادرة الليبرالية (ثمانية مقاعد)، ما يعني استجداء الأحزاب عند كل تصويت على القوانين، فلضمان 28 صوتا قصد استكمال الأغلبية (116/230)، مع ما يعنيه ذلك من تهديد مستمرّ بإسقاط الحكومة في أي لحظة، لاسيما عند الرغبة في تمرير قانون المالية. وإما الدفع بعدم القدرة على تشكيل الحكومة، والتوجّه إلى انتخابات جديدة في الصيف المقبل، أيا يكن الرابح الذي يختاره الرجل، فإنه يظلّ مرادفا للتوتّر وعدم الاستقرار، على غرار ما يجري في السويد حاليا، حيث تتولّى حكومة أقلية يمينية شؤون البلاد.

شهدت المحطة الانتخابية أخيراً جملة من المفاجآت، تبقى بمثابة مؤشّرات يمكن على ضوئها قراءة التجربة السياسية الفتية هناك وتقييمها، مقارنة بالديمقراطيات العريقة في القارّة العجوز. شكّلت نتائج الحزب الاشتراكي الذي حلّ ثانيا (77 مقعدا) بفارق مقعدين فقط من التحالف الديمقراطي المتصدّر مفاجأة كبرى، فالحزب الذي أجمعت التوقّعات على سقوطه المدوي، بسبب تحقيقات مع أعضاء في الحكومة بشأن مخالفات محتملة في عقود مناجم الليثيوم والهيدروجين الأخضر، استطاع حصد ثلث مقاعد مجلس الجمهورية. وفي ذلك تأكيد على أن سقطات الأفراد لا يجب أن تنقلب إدانة للمؤسسة بأكملها، خصوصا عندما تتوفر قرائن على ذلك. قرأ كثيرون في الصعود الملفت لحزب «تشيغا» صاحب شعار «تنظيف البرتغال»؛ الطارئ على الساحة السياسية البرتغالية، إلا أن يتعدّى تاريخه النضالي خمس سنوات، مجرّد نتيجة لفضائح حكومة الاشتراكيين، فالتصويت بهذه الكثافة لصالح الحزب الذي أنتج أهم قواعده في ضوء العلوم التي اعتمدها الفقهاء في عصورنا الوسطى، في حين أن فتح باب الاجتهاد في البرلمان، تصويت احتجاجي على الأحزاب التقليدية، شاهيك بأنه رسالة مفادها إيلاء الاهتمام لمشكلات المجتمع؛ فالحزب الذي يناهض الفساد والجريمة والهجرة استفاد كثيرا من سلسلة الفضائح التي توزّع فيها السياسيون من الجزيرة، في ثالث بلد على قائمة الفساد ضمن الدول الأوروبية بعد كرواتيا واليونان.

انحسار يساري جديد في أوروبا، مقابل تمدّد لليمين المتطرف؛ فمن أصل 13 دولة تقودها حكومات اشتراكية، عام 2013، لم يبق منها اليوم سوى أربع (ألمانيا وإسبانيا وسلوفينيا والدنمارك). يحدث ذلك في البرتغال إحدى قلاع اليسار في أوروبا، وعلى بعد ثلاثة أشهر فقط انتخابات البرلمان الأوروبي، شهر يونيو/ حزيران المقبل، وفي غياب تصنيف نهائي للمتطرّفي البرتغال؛ هل يتبعون خطى حزب فيديسز المجري الذي يغرّد خارج السرب الأوروبي أم يجنحون إلى نهج حزب إخوة إيطاليا المتعاون مع الاتحاد الأوروبي؟

(كاتب مغربي)

> مؤشّرات يمكن على ضوئها قراءة التجربة السياسية الفتية في البرتغال وتقييمها

إسرائيل التي باتت غريبةً عن صورتها

دلال البزري

التقارير المنبّهة إلى احتمال قيام حركة حماس بعمليةٍ ما في «غلاف» غزّة كانت كثيرة قبل «الطوفان»؛ وذات مصادر متعدّدة، من استخبارات، جيش، أمن داخلي... وكل مرّة، كانت توضع هذه التقارير جانبا، تُهمل، وينساها المسؤولون. لماذا؟ لأن غطرستهم مزمنة. يتصوّرون أن عدوهم لا يمكن أن يرتكب عملية كهذه، يُحسب لها ألف حساب، نظراً إلى قوتها الخارقة. وهذه عجرفة ضرورية لعقيدة إسرائيل، القائمة على تامين «وطن» آمن لليهود الموزّعين في مناف قديمة. لكن «طوفان الأقصى» ضرب هذه الثقة في الصميم. وكانت صدمة إسرائيلية مُدية، جماعية وفردية. يتناول الآن علماء النفس الإسرائيليون أعراضها، يحاولون معالجتها، يعتبرونها سابقة. ولا يجدون العديد الكافي لها، بعدما هاجر كثيرون منهم إلى بريطانيا بحثا عن رواتب أعلى وعن أمان ظهرت ملامح اختلاله قبل «الطوفان». فيناديونهم، لعلهم يستجيبون لـ«الواجب الوطني» الإسرائيلي القاضي بالمعالجة النفسية لهذا الحدث «الصادم الشامل»، بحسب أحد كبار علماء النفس الإسرائيليين، والحربُ التي نعرفها الآن لم تبخل بالعجرفة، البديهية المعلنة لحاكمها نتنياهو. يتفرّع منها ذاك «النصر المطلق»، المرفوع منذ بدايتها؛ «سنقتلع حماس»، «سندمّرها، سنعلّمها درسا... حتى النهاية». ما زالت هذه الروحية سارية بعد ستة أشهر، من دون خطّة، ولا ورقة طريق ولا استراتيجية، فقط تكتيك القتل والتجويع والسجن وتوسّع المستوطنات في الضفة الغربية، وقتل أهلها عشوائيا، ومن دون حساب. ومع ذلك، ابتعد «النصر» الموعود. بدّدت «حماس» عن قدرةٍ خارقةٍ على فرض أثمان مرتفعة، على الاستمرار في القتال، على الجزْرة في المفاوضات، على إثارة «الاضطرابات» في الضفة... وجديد التحليلات فشل الجيش الإسرائيلي أخيراً كان في هجومه على مستشفى الشفاء في مدينة غزّة، ومحاصرة مرضاه واللاجئين إليه. واين؟ في البقعة التي أعلن أنه حقّق فيها نجاحاً مبهراً بـ«القضاء على كل قدرات حماس».

وكان الجيش يقول الحقيقة على الأرجح، إن قادة كتائب الشهيد عزّ الدين القسّام، الذي يناهض الفساد والجريمة والهجرة واستفاد كثيرا من سلسلة الفضائح التي توزّع فيها السياسيون من الجزيرة، في ثالث بلد على قائمة الفساد ضمن الدول الأوروبية بعد كرواتيا واليونان.

انحسار يساري جديد في أوروبا، مقابل تمدّد لليمين المتطرف؛ فمن أصل 13 دولة تقودها حكومات اشتراكية، عام 2013، لم يبق منها اليوم سوى أربع (ألمانيا وإسبانيا وسلوفينيا والدنمارك). يحدث ذلك في البرتغال إحدى قلاع اليسار في أوروبا، وعلى بعد ثلاثة أشهر فقط انتخابات البرلمان الأوروبي، شهر يونيو/ حزيران المقبل، وفي غياب تصنيف نهائي للمتطرّفي البرتغال؛ هل يتبعون خطى حزب فيديسز المجري الذي يغرّد خارج السرب الأوروبي أم يجنحون إلى نهج حزب إخوة إيطاليا المتعاون مع الاتحاد الأوروبي؟

(كاتب مغربي)

> صورة إسرائيل في العالم، المعادي والمصادق لها، هي في أدنى درجاتها. والدياسبورا اليهودية تدفع ثمن تلطّخ هذه الصورة

المحرقة، الهولوكوست، هتلر. تريد للعالم ان يقتنع بانها هي الضحية، وكاد العالم أن يصدق. إلى أن بدأت ترتكب المجزرة تلو الأخرى، المحرقة تلو الأخرى، التجويع، الترويع... بما يهزّ الضمائر الغافية، وغطست إسرائيل في بحر الذنوب ورماله، لم تعد تفتح سيرة الهولوكوست، ولا بقية العالم معها. وهذا درسٌ إنساني مفيد. من أن الضحية يمكن أن تتحوّل إلى جلاد، أن الضحية التي تتحوّل إلى جلاد، تمحي بنفسها تاريخ مظلوميتها، العزلة الأخلاقية الدولية نتيجة هذا التحول في المظلومية أو سببه. صورة إسرائيل في العالم، المعادي والمصادق لها، هي في أدنى درجاتها. والدياسبورا اليهودية تدفع ثمن تلطخ هذه الصورة.

الحجة الثانية، أو الشرعية الثانية الأساسية التي تأسّست عليها إسرائيل، الديمقراطية والحداثة. تلك الجاذبية الخارقة التي ولدتها ظروف النشأة، وبقيت عليها ثلاثة أرباع القرن. الغفلة الأولى كانت أن هذه الديمقراطية هي بين أهل بيتها، أي اليهود. ومن الطبيعي بصفتها محتلة أن تطاول هذه الديمقراطية الشعب الذي تحتل أرضه. ديمقراطية في فقاعة ذات غلاف رقيقٍ لم يكن أذنا إلا لمن يودّ النظر.

عشية «الطوفان»، تعرّضت هذه الفقاعة لمحاولات تمزيقها من السلطة الحاكمة، وهي ائتلاف من يمين متشدّد الى يمين مسياني (نوع من «داعش» يهودي، مع فارق العلنية). وذلك عبر مشروع قانون قدّمته إلى البرلمان، الكنيست، يتحوّل القضاء بموجبه إلى منفّذ لتعليمات الأحزاب الحاكمة. أي القضاء على استقلال القضاء بقانون وربما دستور. وخلال تسعة أشهر، نزل الإسرائيليون الشارع، وأضرب الضباط والجنود، واقيمت الفعاليات والندوات واطلقت الصرخات، التي وصلت إلى أذان جو بايدن. وهذا الأخير كان ممتعضا من نتنياهو، قائد المشروع، وتتسرب عن لسانه تعليقات قلّة انسجامه مع نتنياهو...

وكان تقرير مجموعة «في - ديم» المتخصّصة بالمؤشرات الديمقراطية في مائتي بلد، أن إسرائيل فقدت صفتها «ديمقراطية ليبرالية»، وتحوّلت إلى «ديمقراطية انتخابية»، مثل البرازيل وبولونيا، ففي هذه الديمقراطيات، يحقّ للمواطن التصويت على من يحكمه، ولكن كل ما تبقى مضمّنٌ: أي الالتزام بمعايير العدالة، بحقوق الأقليات، بحرية التعبير وبدولة القانون. والحرب على غزّة تعطي لهذا التقرير امثلة إضافية عن هذا الضمور الديمقراطي: قمع اليهود أنفسهم، بوضع الرقابة على الإعلام، نشر السلاح على نطاق واسع بفضل جهود القياديين إيتمار بن غفير وبتسلئيل سموتريتش، تقليص حرّية التعبير الفردية، شراسة مواجهة التظاهرات المسموحة، منع العرب الإسرائيليين من التظاهر، إقصاء من الجامعات للأساتذة العرب الذين يعبرون عن تضامنهم مع اهل غزة، التشدد الفائق بالسجون، وصور الرجال العراة من الغزيين على ظهر شاحنة، مراقبة دقيقة لمواقع التواصل، حتى القديم منها، السماح بقانون صادر عن الكنيست، للجيش والمخابرات بقرصنة الأجهزة المشكوك بامرها من دون علم أصحابها إلخ. على مستوى «القيادات»: صحيحٌ أن المحكمة العليا الإسرائيلية أبطلت بنداً مهمّا من مشروع نتنياهو وصحبه بالقضاء على القضاء، ولكن النخر بالديمقراطية يتم على مستوى ادنى أيضا، في فروع حكومية وفي القطاع الخاص. مشاريع قوانين، قوانين صريحة، او تمريرات غامضة... مثل رقابة رئاسة الوزراء على كل شيء، او تسلّل رجال الأحزاب الدينية إلى لجان التخطيط والبناء، التي يرأسها وزراؤهم. تغلغل خفيض لرجال هؤلاء أيضا في الوزارات الأخرى «غير الممسوكة». استقالة ضبّاط الشرطة الإسرائيلية بعدما تمادى إيتمار بن غريف بالتدخل في أنشطتها الأمنية. توقيف تعيينات إدارية في قيادات الجيش لأنها لا تروق لوزير المال بتسلئيل سموتريتش... شيء يشبه المحاصصة المعهودة عندنا.

هذا كله وسط وحدة وطنية مهترئة. أبرزها أزمة الحسيديين الأرثوذكس، والتي تضيف جرحاً آخر إلى نرجسية «الوطنية الإسرائيلية». منذ قيام إسرائيل ولليهود الأرثوذكس مدارس تموّلها الدولة، كما تمول بقية حياتهم، إذ لا عمل لهم غير القراءة والتأويل. يدرس فيها التلامذة التوراة، ليكونوا حاخامات لاحقا. وهم أصحاب عقيدة تمنعهم من الحرب وحمل السلاح، يشكّلون حوالي 10% من سكان إسرائيل، وعدد الشباب الصالحين منهم للخدمة العسكرية يتجاوز الستين ألفا. كانت الأصوات المحتجّة على هذا الإعفاء من الدم خافتة في السابق. ومع الحرب ارتفعت، وبلغت مستوىً كموسيا. يؤيدها وزير الدفاع غالانت، وزعيم الأقلية بنيت. ويراوغ فيها نتنياهو، مع أنه أكثر الراغبين باستمرار المقتلة الغزية، أي الأكثر حاجة إلى العدد.

كل شيء تاريخي في هذه اللحظة، كلّ شيء يبطن أسئلة ويولّدها. الفشل التاريخي لإسرائيل، وضياع روحها، حجّتها، شرعيتها، وميزتها الحداثوية... كلها كانت تُقاط جذب للغرب. وكلها جرّت معها سخطاً هائلاً تجاه هذا الغرب التاريخي الآخر، انفجار فلسطين بوجه العالم نفسه، الغربي، الحيوي، ذي التأثير على مجريات حكامه. صورة فلسطين منذ بداية إسرائيل، أي تاريخها وحاضر ابنائها، مصيرهم، شتاتهم، شخصياتهم... أصبح الآن تحت الرادار الدقيق لهذا الراي. بعد ذلك تبقى الأسئلة، عن المستقبلين، القريب والبعيد. تكتفي طرح واحد منها: لو أزيح نتنياهو، ماذا ستكون سياسة إسرائيل؟

(كاتبة لبنانية)

مخاتير غزّة ورجالها

زياد بركات

راهنت إسرائيل على مخاتير قطاع غزّة وعشائرها فخاب مسعاها، فلجأت إلى اغتيال من تصل أيديها إليهم، خاصة الذين أعلنوا على رؤوس الأشهاد رفضهم القاطع التعاون معها، لإنفاذ خطتها لإقامة إدارة مدنية في غزّة. قالوا ذلك في تصريحات معلنة، ولجهات دولية عقدت اجتماعات معهم بمعيّة ممثلي بعض العشائر، لإقناعهم بما يُراد منهم إسرائيلياً، فردّوا هذه الجهات على أعقابها.

أين هي المفاجأة هنا؟ ليست في وطنيّة مخاتير فلسطين، وهم كذلك، بل في تكفيك التنميط الذي خضعوا له في الأدبيات السياسية والمرويات الشفوية والسرد والدراما الفلسطينية، وهو تنميط متصلّب أغفل تغيّر الوظيفة والأسباب التي أنشأتها، كما أغفل تطوّر المجتمع الفلسطيني نفسه بعد صاعقة هزيمة عام 1967 المزلزلة، التي قضت على آخر البنى الفلاحية في المجتمع الفلسطيني الذي غادر القرية إلى المخيم، داخل المدن أو على أطرافها. على أن مخاتار ما بعد 1967 لا يشبه نظيره قبل الاحتلال. إنه أضعف، بوظيفة تتآكل شروطها، بصعود المقاومة الفلسطينية. وفي قطاع غزة، فإن صعود حركة حماس في تسعينيات القرن المنصرم حوّل المخاتير إلى جزء من الفولكلور، ووظيفتهم إلى ما هو أقلّ من العمل البلدي.

تعود وظيفة المختار في فلسطين إلى النظام الإداري العثماني، وكان مخاتير فلسطين من رجالات الإقطاع فيها، أي أنهم كانوا يحوزون الثروة أصلاً، وأضيف إليها النفوذ بقيامهم بدور الوكيل العثماني المحلي. وهو ما واصلوه في حقبة الانتداب البريطاني، وبدأ بالتآكل مع النكبة، وتلقّى الضربة القاضية بعد احتلال بقية فلسطين. فالأرض التي كانوا يحوزونها تمّت مصادرتها أو مصادرة أجزاء كبيرة منها، والنفوذ المفترض أصبح مصدراً للشُبهات، أي العمالة لإسرائيل، وهو ما ساهم في القضاء على صورة المختار السابقة، المترسّخة في الذهن، النمطية بقوة المرويات الشفوية. يستعرض تحقيق صحافي أنجزته آلاء أبو عيشة عام 2018 نشره موقع التراث- فلسطين الإخباري، بعنوان «عندما وقف أهل الغرّ في طابور الخبز»، ذكريات أبناء أو أحفاد عدد من مخاتير قراهم الصغيرة بعد نزوحهم إلى قطاع غزّة، حيث فقدوا الأرض والنفوذ، المكان والمكانة، ومن هؤلاء مختار قرية حمامة، وهي البلدة الأصلية لكات

حين يُخدش جدار «أيباك»

مالك ونوس

يعدُّ خروج مظاهرات مناهضة لممارسات لجنة الشؤون العامة الأميركية الإسرائيلية (أيباك)، ودعمها الإبادة في غزّة، وتدخلها في الحياة السياسية الأميركية، حادثاً لافتاً في الولايات المتحدة، غير أن اللافت أكثر أن الاحتجاجات لم تقتصر على تلك الأمور فحسب، بل تعدّتها إلى الاحتجاج على ممارساتها الموجّهة ضد التيارات التقدمية في البلاد. وإذ ظهر تدخّلها في الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي قوياً وفاقعاً ضد التيار اليساري فيه، إلا أن الأميركيين الذين شهدوا على دورها في تحشيد دعم قادة بلادهم الحرب الإسرائيلية والإبادة في غزّة لمسوا كيف فرضت مجموعة الضغط هذه عواقب على كل من ينتقد هذا الدعم وانتهاك الإسرائيليين الأعراف الدولية خلال حربهم على قطاع غزّة، من أجل لجم الجميع ومصادرة حقهم في التعبير.

وتأتي أهمية هذه الاحتجاجات واستثنائيّتها من حقيقة أن عقوداً طويلة كانت تُمنع فيها الإضاءة على مجموعة الضغط اليهودية الأقوى هذه، وعلى نشاطها في مجال التدخّل في تأمين الدعم الأميركي غير المحدود مادّياً ومعنوياً للكيان الإسرائيلي، ودورها في وضع السياسات الخارجية الأميركية لجعلها تتماشى مع مصالح دولة الاحتلال في المنطقة العربية والعالم. وإذ كان مجرّد الإضاءة على هذا النشاط ممنوعاً في الإعلام الأميركي، فما بالك في توجيه الانتقادات لها؟ وبينما كان الانتقاد من المحرّمات، كان أي «انتهاك» لتلك المحرّمات يصنّف، من فوره، من تُهَم معاداة السامية الكثيرة والجاهزة التي تستوجب العقوبة. ومن هنا، تعد تلك الاحتجاجات خرقاً في ذلك السائد، وعملاً شجاعاً ربما تكون له مفاعيل مستقبلية.

وخرجت بجوار مقر «أيباك» في واشنطن مظاهرتان تزامناً مع انعقاد مؤتمر اللجنة، في 12 مارس/ آذار الجاري، المؤتمر الذي تنظم فيه اللجنة اللقاءات مع أعضاء الكونغرس، وتحدّد الدعم الذي ستقدمه وهوية متلقيه، من أجل التأثير على أعضاء الكونغرس ومجلس الشيوخ قبل الانتخابات المقبلة. ولم تقتصر المظاهرات على واشنطن، بل خرجت مظاهرات في مدنٍ أخرى أيضاً، مثل نيويورك نهاية فبراير/ شباط الماضي، وغيرهما من المدن. ورفع المتظاهرون في جميع المظاهرات لافتاتٍ تتهم «أيباك» بتمويل الإبادة في غزّة، وتطالب بوقف إطلاق النار في القطاع ووقف الإبادة فيه، وكذلك بوقف الحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين بشكل عام. وللمفارقة، أغلب منظمّي تلك المظاهرات هم من اليهود الأميركيين من تحالف جديد مناهض لـ«أيباك». هذا التحالف الذي أُعلِن عن تشكيله بداية شهر مارس/ آذار الحالي تحت اسم تحالف «إرفضوا أيباك»، يضم 25 مجموعة تقدّمية، من بينها حركة «إن لم يكن الآن» اليهودية و«حزب العائلات العاملة» و«الصوت اليهودي للعمل من أجل السلام» و«الحملة الأميركية للعمل من أجل حقوق الفلسطينيين» و«حزب العدالة الديمقراطي» و«حركة شروق الشمس» السياسية المهتمّة بالتغير المناخي، وغيرها من الحركات. هذه المنظمات التي قال أعضاء فيها خلال المظاهرات إنهم غيَّروا قناعاتهم بعدما شهدوه من ظلم إسرائيلي تاريخي بحق الفلسطينيين، في فلسطين ومناطق اللجوء، وبعد الحرب الجارية على غزة، والتي قتلت أكثر من 31 ألف شخص من المدنيين الأبرياء.

> رُفعت في مظاهرات في الولايات المتحدة لافتاتٌ تتهم «أيباك» بتمويل الإبادة في غزّة، وتطالب بوقف إطلاق النار في القطاع

صحيح أن هدف التحالف الجديد الأساسي هو الحد من تدخل «أيباك» في الانتخابات الأميركية عبر دعم الجمهوريين ضد التقدّميين في الحزب الديمقراطي، وتحريض بعض الديمقراطيين ضد زملائهم اليساريين في الحزب، إلا أن الهدف البعيد هو المحاولة لتأسيس حصنٍ دفاعي يحميهم على المدى الطويل، ويعزّز استقلالية المرشّحين عن المال الانتخابي الذي خصّصت «أيباك» منه مائة مليون دولار لإنفاقها خلال انتخابات سنة 2024. غير أن ظهور التحالف لم يكن سوى ردّ فعل على إسكات الصوت المعارض للحرب على غزّة، فقد قال التحالف في بيان التأسيس: «لقد رأينا كيف تفعل أيباك كل ما في وسعها من أجل إسكات المعارضة المتنامية في الكونغرس ضد هجوم نتنياهو على غزّة الذي قتل أكثر من 31 ألف فلسطيني، حتى في ظل تأييد الغالبية الساحقة من الناخبين الديمقراطيين وقف إطلاق النار ومعارضتهم إرسال مزيد من الشيكات على بياض إلى الجيش الإسرائيلي».

ربما يأتي تشكيل هذا التحالف في سياق الاحتجاجات في الغرب ضد الحرب الإسرائيلية على غزّة، والتي توقع محلّلون وسياسيون غربيون أن تؤدّي إلى تحولها إلى احتجاجات ضد حملات التضييق على الحريات العامة وحرية الرأي ومصادرة الحقوق في مختلف دول الغرب. هذه الحملات التي اتخذت الحكومات في الغرب من جائحة كورونا مبرّراً لفرضها ولسلب الطبقات العاملة فيه حقوقها المكتسبة عبر سنواتٍ من المعاناة والنضال لتحقيقها. وكان تعاظم الهجمات على حرية الرأي والتعبير مع الحرب الإسرائيلية على غزّة، ومنع الناس من إبداء المعارضة لها أو التعاطف مع الضحايا الفلسطينيين أو المطالبة بوقف إطلاق النار مؤشّراً على أن تمادي هذه الحكومات لا يمكن توقيفه إلا برفض تلك السياسات على نطاق واسع.

ربما لا تكون هذه الاحتجاجات والتحالف المعارض لـ«أيباك»، سوى خدوش على جدار هذه اللجنة الحصين. وربما لا تكون سوى بداية لزيادة الوعي تجاه أدوات السيطرة الإسرائيلية والتأثير على الرأي العام الغربي لجعل روايتها للصراع العربي الإسرائيلي هي الرواية الوحيدة والسائدة. وإذا ما بدأ المشوار مع «أيباك»، فهنالك سجل طويل لباقي أدوات الضغط والسيطرة الإسرائيلية وأدوات الدعاية والرقابة على الإعلام والنشاط السياسي والاجتماعي التي تقف وراءها مؤسّسات إسرائيلية لا تكلّ ولا تنام ولا تتهاون، والتي تنتظر من هذا التحالف أو غيره الالتفات لها ولمخطرها. مؤسّسات لها حساسية تجاه أي صوت معارض للسياسات الإسرائيلية، مهما كان هذا الصوت خافتاً، وكائناً من كان صاحبه، إذ يعرفون هم على أي بنيان هشٍّ بنوا أسطورتهم التي يشغلهم هاجس دائم في احتمالية تضعضع هذا البنيان وسقوطها في أي وقت.

(كاتب سوري)

حرب غزّة على مفترق طرق

نضال منصور

خرجت مجلة الإيكونوميست بعنوان مثير، ولافت للانتباه «إسرائيل وحدها»، في إشارة إلى عزلتها الدولية بعد ما يقارب ستة شهور على حرب الإبادة التي تشنها على الشعب الفلسطيني في غزّة. ... ليس مهمّا صحّة هذا الافتراض، أو التقدير السياسي، لكن من المهم أن نقرأ بعد أشهر طويلة على حربٍ شرسةٍ التحوّلات في المشهد، مع الإشارة الواضحة التي لا تحمل لبسا أن قادة الاحتلال الإسرائيلي لا يهتمون على الأقل علنا بهذه المتغيرات، والمواقف، ويستخفّون بها، ويدينونها، وآخرها انتقادات للرئيس الأميركي بعد قرار مجلس الأمن تكاد تصل إلى التهديد. أول محطة يمكن التوقّف عندها باهتمام قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في غزّة بعد محاولات عديدة باءت في الفشل، وبعد مضي أكثر من خمسة شهور على العدوان الإسرائيلي، وبلوغ شهر رمضان منتصفه، وحصيلة الشهداء تزيد عن 32 ألفا، جلهم من الأطفال، والنساء. القرار مهم رغم امتناع أميركا عن التصويت، وهو بحد ذاته موقف، وتحوّل، ورغم أيضا أن القرار اتخذ بموجب الفصل السادس، وليس السابع، وهو لا يملك آلياتٍ للتنفيذ، ولا يأخذ قوة الإلزام، ولكنه حجرٌ رمي في بركة الصمت، والمؤامرة على الشعب الفلسطيني، وما كان يمكن أن يحدُث لولا حجم الكارثة، والصمود الأسطوري للفلسطينيين الذي لا يصدّقه عقل، وقباحة الجرائم الإسرائيلية وبشاعتها، وجديدها أخيراً ما علقت عليه المقرّرة الأممية الخاصة بالأمم المتحدة المعنية بالعنف ضد النساء والفتيات، ريم السالم، حين أعربت على منصة «إكس» عن قلقها إزاء تزايد حالات الاغتصاب التي يرتكبها جنود إسرائيليون ضد فلسطينيات. وشدّدت على أن الاغتصاب وغيره من أنواع العنف الجنسي يمكن اعتبارها جرائم حرب، أو جرائم ضد الإنسانية، أو سلوكيات قد تشكّل إبادة جماعية. ما زالت إسرائيل تجاهر بأنها لن توقف الحرب قبل أن تقضي على حركة حماس، وقبل أن تحقّق أهدافها، ومنها القبض على قادة فصائل المقاومة الفلسطينية. ولذلك يعلن نتنياهو أنه سيعاقب الرئيس الأميركي، جو بايدن، لأن الولايات المتحدة لم تستخدم «الفيتو» ضد قرار مجلس الأمن، وبأنه، احتجاجاً، لن يرسل وفده إلى واشنطن للتفاهم معها على خطّتها ما بعد اليوم التالي للحرب.

> تعب الجمهور العربي، وحركات المناصرة تراجعت، ولا توجد حركاتٌ منظمة تقود حراكاً طويل المدى

التحوّلات بطيئة بكل تأكيد أمام هول جرائم الحرب المرتكبة، وقد يكون بعضها «بروباغندا» ليس لها أثر على أرض الواقع، لكن رصدَها مهم، وفي المنظور الاستراتيجي، وبعيد المدى تبدو نقطة تحوّل مهمة. مثلا، تعلن دول أوروبية عديدة أنها تدرس الاعتراف بدولة فلسطين، وأخرى تناقش وقف تصدير الأسلحة لإسرائيل.

من المهم، في هذا السياق، الإشارة إلى الدعوى التي أقامتها نيكاراغوا في محكمة العدل الدولية ضد ألمانيا لتصديرها أسلحة للاحتلال الإسرائيلي تتهمها بتسهيل الإبادة الجماعية، كما أن تصريحات الرئيس الكولومبي، غوستاف بيترو، تستحق التوقف؛ إذ يدعو الدول إلى قطع علاقاتها مع إسرائيل، إذا لم تلتزم بقرار مجلس الأمن بوقف الحرب، وإذا ما انتشرت هذه العدوى فإن الحصار يطبّق على الدول المشاركة في العدوان، ويضيق الخناق على سلطة الاحتلال، وتبدو معزولة، ومنبوذة أكثر. مع اقتراب الحرب الإسرائيلية على غزّة من إكمال شهرها السادس، فإن حملات الاحتجاج في أوروبا وأميركا لم تتوقف، وبدأت تأخذ أشكالاً أكثر تنظيماً، وتأثيراً، فحركة المقاطعة مستمرّة، وتتوسّع، وتُحدث أثرا اقتصاديا، والحركات الطلابية المتضامنة مع الحق الفلسطيني تسيطر، وتكتسح، والأهم أن هؤلاء الطلبة والطالبات بعد عشر سنوات سيصبحون أصحاب القرار في دولهم، والأهم التأثيرات لهذه الحملات، والمواقف في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية.

على الأبواب الانتخابات في أميركا، وفريق الرئيس بايدن يعرفون أنه سيخسر ولايات حاسمة في سباق الرئاسة بسبب الأصوات العربية. والسبب موقفه المشين من الحرب على غزّة، ولا يفيد تهديدات الديمقراطيين الشارع العربي أن البديل لبايدن هو ترامب، وما لم تتخذ الإدارة الديمقراطية مواقف مختلفة تثبت تحوّلا أكثر عدالة، وإنصافا لفلسطين فإن الجمهور العربي سيعاقبها، وقد تنضم لهم جاليات أميركيا اللاتينية، والأفارقة، وهم الأصوات التي حملت بايدن إلى البيت الأبيض. للمشهد أيضا وجه آخر لا يمكن إنكاره، أو التغاضي عنه، فالدول العربية، باستثناءات قليلة، لم تفعل شيئا لغزّة، وتتهم من شعوبها بالتقصير، وأحيانا بالتآمر، هذا عدا عن الضغوط التي تتعرّض لها إذا اتّخذت مواقف صلبة في مقارعة الاحتلال الإسرائيلي، والجمهور العربي تعب، وحركات المناصرة تراجعت، ولا توجد حركاتٌ منظمّة تقود حراكا طويل المدى، ولا تملك أدوات ضغط فاعلة على أنظمتها. وليس من باب إحباط المعنويات، أو التشاؤم، فإن حركة حماس تعرّضت لضربات عسكرية موجعة، وقوتها تتآكل، وجيش الاحتلال منذ أشهر يقوم بعمليات تمشيط واسعة، يصاحب ذلك استمرار معركة التجويع للشعب الفلسطيني في ظل انعدام، أو شح المساعدات الإنسانية، وكل الأحاديث عن الضغط على إسرائيل للسماح بإدخال المساعدات لم تنتج أثرا، وعودة «أونروا» بفعالية بعد محاولات إيقافها تحتاج وقت طويل لاستعادة دورها، وحبال كلام الأميركيين عن الميناء البحري طويلة، وتلازمه الشكوك والاتهامات.

في المشهد الداخلي على الجبهتين، إسرائيل تعيش أزمتها الداخلية، وسيناريو نتنياهو إطالة أمد الحرب حتى لا تسقط حكومته، ويستخدم ورقة اقتحام رفح للمساومة والابتزاز الدولي، وبعد أزمته مع أميركا، وتصدّع حكومته، لا يُعرف أين ستأخذه المآلات. فلسطينيا، لم يعد الرئيس محمود عبّاس مقبولاً شعبيا، ولا يملك أوراق قوة في الداخل، أو الخارج، وهو يدرك أن القوى الدولية، بما فيها العربية، تضع الخطط البديلة، وهو ليس في صدارتها، وإن جاء ذكره فهو لمرحلة انتقالية مؤقتة.

حرب غزّة على مفترق طرق؛ الخسارة الكبرى كانت من الدم الفلسطيني، لكن إسرائيل التي كانت قبل 7 أكتوبر لن تبقى كما هي.

(الرئيس التنفيذي لمركز حرية وحماية الصحفيين)

بارقة أمل ديمقراطي من السنغال

نبيل البكيري

فتحت لنا الانتخابات الرئاسية السنغالية التي أجريت يوم 24 مارس/ آذار الجاري، نافذة أمل ديمقراطي على أطراف العالم الإسلامي الغربية في غرب أفريقيا، والتي فاز فيها المعارض السنغالي الشاب بشير ديوماي فاي، ليصبح أصغر رئيس أفريقي منتخب، بعد خروجه من السجن بعشرة أيام وخوضه هذه الانتخابات، مسدلاً الستار بذلك على واحدة من أروع قصص الإلهام النضالي والكفاح الديمقراطي السلمي الأفريقي في هذه المرحلة الفارقة من تاريخ أفريقيا والعالم.

بشير ديوماي فاي، مواليد 1980، مفتش الضرائب وخرّيج كلية القانون في جامعة الشيخ أنت جوب بدكار. أسّس في 2014، مع رفيقه وأستاذه عثمان سانجو ذي الخلفية الإسلامية، حزب «الوطنيون الأفارقة من أجل العمل والأخلاق والأخوة»، ذا الأيديولوجيا العلمانية الوطنية، والذي ضمّ في صفوفه خيرة النخبة الشابة السنغالية من مختلف التيارات، لما يتمتّع به هذا الحزب من رؤية وطنية تحرّرية ضداً للمصالح والنفوذ الفرنسي في السنغال الغنيّة بالنفط والغاز، وذات الـ 16 مليون نسمة ومساحة 196 ألف كيلومتر مربّع على سواحل غرب أفريقيا وهبة نهر السنغال العظيم الذي أخذت منه اسمها. فقصة هذين الشابين، عثمان وبشير، قصة كفاح ملهمة. فبعد سجن عثمان سانجو بتهم كيدية سياسية من حكومة ماكي سال السابقة، ومنع عثمان من الترشّح للرئاسة، كانت خطّة عثمان البديلة جاهزة، وهي الدفع برفيق دربه بشير إلى قيادة الحزب أميناً عاماً له والمترشّح للرئاسة في هذه الانتخابات التي خاضوها بتحدٍّ واقتدار كبيرين وتحت شعار «مشروع السنغال السيادي، العادل والمزدهر»، مستغلين حالة السخط العام على حكومة ماكي سال الموالية لفرنسا.

> مباركٌ للشعب السنغالي النجاح الديمقراطي الكبير، متمنين له المضيّ بهذه التجربة حتى النهاية وترسيخها

فوز بشير، أو بالسنغالية بسيرو ديوماي فاي، في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية، بنسبة 56% مقابل 31% لمرشّح الحكومة، كان بمثابة استفتاء كبير للشعب السنغالي وتوقه إلى التغيير واستعادة سيادة القرار السنغالي الرسمي من الارتهان لفرنسا، وخصوصاً أن بشير ورفيقه عثمان كانا من حملة مشروع استعادة السيادة الوطنية السنغالية وتحرير القرار الوطني السنغالي، وهو ما كان واضحاً في حملتهم الانتخابية القصيرة، التي لم تتجاوز عشرة أيام من خروج المرشّح الرئاسي الفائز بشير ديوماي فاي من السجن. ترسم قصة كفاح هذين الشابين، عثمان وبشير، بخلفيتيهما الإسلامية، شارة إلهام لشباب القارّة الأفريقية في إمكانية التغيير سلمياً متى ما آمنوا بذلك طريقاً وحيداً للنضال، في ظل حالة الاحتقان الذي تمرّ به دول غرب أفريقيا وكفاحها من أجل الانعتاق من هيمنة النفوذ الفرنسي النهاب للثروات والمقدّرات، والتي يُعبّر عنها بفوضى الانقلابات العسكرية بين حين وآخر، مع ما تمثله هذه الانقلابات من تكريس لحالة الاحتقان السياسي، وإن تسترت هذه الانقلابات بالتحرّر من النفوذ والهيمنة الفرنسية، والغربية عموماً.

التجربة السنغالية الديمقراطية عريقة، وجاءت هذه الانتخابات وفوز المعارضة السنغالية فيها لتكريس هذه التجربة وتجذيرها بشكل أكبر، خصوصاً أن في قلب هذه التجربة قصة كفاح ونضال شبابي سنغالي باذخة الحضور والإلهام في أوساط الشباب الأفريقي، حينما ندرك حجم التضحيات التي قدّمها هؤلاء الشباب في أطر حزب باستيف من خيرة شبابهم طوال المرحلة السابقة ما بين قتيل ومعتقل ومشرّد. ورغم هذا الفرح الكبير الذي عمّ الشعب السنغالي والشعوب الصديقة له، إلا أن أمام هذه التجربة تحدّيات كبيرة، في مقدّمتها أن فرنسا التي تدرك أنها خسرت أو في طريقها إلى خسران كامل نفوذها على دول غرب أفريقيا، أو ما تسمّى مجموعة الإكواس، لن تترك هذا التجربة تمضي بسلام، برغم الرسائل المطمئنة التي بعث بها الرئيس بشير ديوماي فاي، ورفيقه عثمان سانجو من أنهم ليسوا ضد فرنسا، ولكن ضد فرض فرنسا نفسها وصيّة على بلادهم، وأنهم مع علاقة صداقة ودّية لتحقيق المصالح المشتركة التي يحترم فيها الطرفان صداقاتهما.

السنغال في المخيال الغربي، والفرنسي تحديداً، إحدى أهم قلاع الحضارة الإسلامية في أفريقيا، ويحضر فيها الإسلام هوية واضحة لم تستطع فرنسا طوال وجودها من تذويب هذه الهوية الإسلامية المتجذّرة التي تبرز في كل مجالات الحياة من مساجد وقلاع وحصون وتعليم وأعياد ومناسبات إسلامية طوال العام، برغم أنها (فرنسا) فرضت لغتها لغةً رسمية للدولة، وكذلك عملتها الفرنك، وحاولت فرنسة كل مجالات الفن والثقافة، إلا أن الشعب السنغالي ظلّ متمسكاً بهويته الروحية والثقافية المتمثلة بالإسلام الذي يدين به ما يقارب 94% من هذا الشعب الأفريقي.

وختاماً، مباركٌ للشعب السنغالي هذا النجاح الديمقراطي الكبير، متمنين له المضيّ بهذه التجربة حتى النهاية وترسيخها كتجربة ملهمة لشعوب المنطقة، الغارقة في أتون انقلابات عسكرية تنتج بعضها بعضاً، خالقةً حالة من عدم الاستقرار، ومسهلة للمتربصين بالمنطقة تدخلهم الدائم، ما يجعل المنطقة في فوضى دائمة وعدم استقرار.

(كاتب يمني)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

رئيس التحرير معن البياري ■ مدير التحرير ارنست خوري ■ المدير الفني إميل منعم ■ السياسة جمانة فرحات ■ الاقتصاد مصطفى عبد السلام ■ الثقافة نجوان درويش ■ منوعات ليال حداد ■ المجتمع يوسف حاج علي ■ الرياضة نبيل التليلي ■ تحقيقات محمد عزام ■ مراسلون نزار قنديل

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، لندن
Ealing Cross, Second floor, 85 Uxbridge Road, London, W5 5TH
Tel: 00442045801000
■ مكتب الدوحة
الدوحة ـ برج الفردان ـ لوسيل ـ الطابق الـ 20 ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب بيروت
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads